

أضواء البيان

@ 411 على هذه الآية ، وفي سورة الأنعام على قوله تعالى : { قَالَ الذَّارُؤُ
مَثُورًا كُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ } ، وهو بحث مطول ، وسيطع
الكتاب بإذن الله تعالى مع هذه التتمة . .
وذكر القرطبي في معنى الحقب : آثاراً عديدة منها : عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، قال
: قال النبي صلى الله عليه وسلم : (والله لا يخرج من النار من دخلها حتى يكون فيها
أحقاباً الحقب : بضع وثمانون سنة ، والسنة ثلاثمائة وستون يوماً ، كل يوم ألف سنة مما
تعدون . فلا يتذكر لَنَّ أحدكم على أنه يخرج من النار) . ذكره الثعلبي . .
وقد رجح القرطبي دوامهم ، أي الكفار في النار أبد الآبدين . اهـ . قوله تعالى : {
وَكُلُّ شَيْءٍ أَصْحَابُهُ كِتَابًا } . قيل المراد بالشيء هنا : أعمال العباد ، أي
أنه بعد قوله : { جَزَاءٌ وَفَاقًا } أي وفق أعمالهم بدون زيادة ولا نقص ، قال : وقد
أحصينا أعمالهم وكتبناها ، وهذا كقوله تعالى : { وَوَضَعَ الْكِتَابُ فَتَرَى
الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لَنَا لِهَذَا
الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَصْحَابُهَا } . وقال : { وَمَا يَلْفِظُ مِنْ
قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ } ، وقوله : { فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ
ذَرَّةً خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ } ، وقوله :
{ أَصْحَابُ اللَّهِ وَنَسُوهُ } . .
واللفظ عام في كل شيء ، ويشهد له قوله تعالى : { إِنْ زَلَّ كُلُّ شَيْءٍ خَلْقًا } .
وبقدر فيه معنى الإحصاء ، وفي السنة : حديث القلم المشهور ، وكقوله : {
وَكُلُّ شَيْءٍ أَصْحَابُهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ } وتقدم في سورة الجن قوله تعالى :
{ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَصْحَى كُلُّ شَيْءٍ عَدَدًا } . .
وهذه الآية أعظم الدلالات على قدرته تعالى وسعة علمه ، وألا يفوته شيء قط ، وأنه يعلم
بالجزئيات علمه بالكليات . .
وكما تقدم في سورة المجادلة { مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ
رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا
أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنْزِلُ اللَّهُ بِهِمَا